جماليات حضور الذات في قصرواية " يوم لك" لحسين زيدان

د/ لحباري رقية

جامعة باتنة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع جماليات توظيف العناصر المشكلة لنص "يوم لك " للكاتب حسين زيدان وهي ؛ الذات, المكان, الزمن وميزة الصمت في لغة الخطاب, لأنها تشكيل متكامل في تتبع الأبعاد الفكرية للذات الفاعلة التي تتمركز في العلاقة الهرمية للعناصر, وترصد إيجابيات التفاعل مع الأفكار المختلفة والمرتبطة بالمكان.

وخلصت الدراسة إلى قابلية الذات الفاعلة للانشطار عبر مستويين؛ أحدهما مرتبط بمنطق الواقع الاجتماعي وما يؤكده من مسؤولية في صناعة القرار , والآخر ملتحم بالمتخيل الفكري الروحي في التفتيش عن القيم, وتنتهي في الأخير إلى تجاوز فواصل القلق المعرفي بانفراج مشرق للفكرة بلغة خطاب صامت متفجر. فأهمية الذات تخضع لسلطة تدافع الأفكار, في خلق تفاعل مميز مع الحدث والمكان .

Resume

La présente étude a pour objectif de démontrer l'effet esthétique crée par l'emploi d'éléments qui constituent le texte 'Un jour pour toi' de l'écrivain Hocine Zidane, à savoir: le sujet (la personne) , le lieu , le temps ainsi que la particularité du silence dans le langage du discours. En fait, ces éléments forment une composition complémentaire dans la poursuite des dimensions intellectuelles du sujet actant et qui s'établit dans la relation pyramidale des éléments . l'étude également vise à jeter la lumière sur les points positifs de l'interaction avec les différentes idées et qui sont liées avec le lieu .

La présente étude parvient à la conclusion que le sujet actant est capable à se diviser sur deux niveaux : l'un est lié à la logique de la réalité sociale et son implication dans la responsabilité de la prise de décision . L'autre est étroitement lié avec l'imaginaire intellectuel et cognitif dans la recherche des valeurs . Et enfin , le sujet actant arrive à surmonter les intervalles de l'agitation cognitive avec une délivrance brillante l'idée et ce dans un langage de discours muet et explosant . L'importance du sujet est sujette à l'autorité de l'envolée d' idées dans la création d' interaction distinctif avec l'évènement et le lieu.

توطئة

الذات هي تشـــكيل منظم للإدراك والتجاوب مع الآخر؛ واقعا وقيما, وتتجلى في النص الســـردي فاعلة ومتفاعلة, عبر مجموع العلاقات التي تمكنها من خلق سـلطة فكرية أوعاطفية أو سـياسـية ... ومن ثم تتمثل لها مسـتويات ممارساتها في الأداء وفي الغايات, وتفترض قبول الآخر اتفاقا واختلافا.

إن الذات في حضـورها مع ذوات أخرى تشـكل نسـيج النص, وتكشـف خطها المعرفي في تناول قضـــايا التجربة الإنســـانية التي قد تمنحها توصـــيفا بالمثالية الأخلاقية أو الاجتماعية، وعلى هذا الأسـاس تناولت الدراسـة جماليات الذات الفاعلة وتحولاتها الفكرية الخاضـــعة لســـلطة القيمة والمكان والزمان في النص .

أهمية الدراسة

جنس الكاتب حسـين زيدان لمجموعته " يوم لك " بقصـرواية، وهو جنس أدبي تداخلت فيه القصـــة والرواية فجاء وسـطا بينهما. ونص "يوم لك" هو آخر نص في المجموعة وأطولها من حيث المسـاحة النصـية، وفيه تلمسـت اشـتغالا واعيا على أفكار الذات وممارسـاتها، إدراكا منا لفاعلية التغيير في آليات الإبداع وإعادة تشـكيل الكون القصـصـي وفق ما تقتضـيه حركة الأفكار في ذهن الذات الفاعلةعلى مسـتويين، أولهما يرتبط بواقع اجتماعي، ضـوابطه هي ما تفرضـه مهنة الطب من التزام بالواجب، وثانيهما ؛ يتمثل فيما تهيأ للذات من متخيل في مختلف المعارف، وشـكل لها انسـيابا في سـياق القناعات المتشـابكة والأفكار المتداخلة.

وبين المستويين ؛ تحول في مسار الأفكار فرضته الطاقة الرمزية للكهف من انفتاح المتخيل على المرجعي في التاريخ والتصـوف. وهذا الفضـاء المشـكل

من المكان والقيم نسـج علاقة مهندسـة بين الذات والمكان، حيث تعتمد الذات الساردة على فعل القرار، وعلى مردود الطاقة البصرية في تتبع تفاصيل الحركة والبحث داخل الكهف، مما يوجب استثمار متخيل الاستدعاء الذهني للذات، وهنا تكمن أهمية جماليات الذات الفاعلة في النص.

أهداف الدراسة

يطرح نص "يوم لك" سؤالا عن تجليات حضور الذات، وتعدد الفضاءات الجغرافية التي تعد مداخل يتبين فيها اختلاف نظم اقتناع الذات الرئيسـة الفاعلة بأفكارها وأفعالها بعلاقات تحمل نسـقا مميزا يخترق أفق القارئ حين يتعامل بخصوصية مع الموضوع، فينشئ وسائل إقناعية يتوسل بها إليه لعله يمسك بآليات المفارقة في فاصل انشطار الذات بين فضائين مختلفين، وإيمانها بأفكار لا تتناقض، لكنها غالبا لا تلتقي في سياق انتظام وتواصل الأحداث.

ومن ثَمَّ رأيت أن الأنسب للبحث هو السؤال في حضور الذات – خليل – من حيث لحظات صناعة الأفكار وتحولاتها التي تتضح بطريقتين متكاملتين ؛ إدراك الذات لانعكاسات الفكرة وتوقعاتها الإيجابية، ثم ممارستها للفعل.

يصعب تفهم الذات الفاعلة – خليل – إلا من خلال الإمساك لممكنات وعيها بواقعها، والتفاعل معه بقيم متفردة، تجسد الاستغراق في الفكرة، ومن ثم يتحدد التصور الاختياري المنفلت من المعايير الاجتماعية، وشفرة ذلك في تناقض الفضاءين الجغرافيين "من المستشفى والشوارع والغرفة إلى الكهف"، من حيث التعامل معهما من خلال معطيات الأفكار.

فضاء الذات في النص:

في نص "يوم لك" [1] للكاتب حسين زيدان يتوزع حضور الذات الفاعلة المتمثلة في شخصية خليل، بين الواقع والمتخيل، إذ تحمل لذلك مادة مكثفة لاشتغال الأفكار، وفق آليات الكتابة السردية. فهو طبيب بالمستشفى، أوقف اهتمامه على الطفل المريض جهيد... ثم استقال من عمله رغبة في التحرر من أسوار روتين الحياة العادية، وأخفى الأمر عن زوجته هدى، اعتقادا منه بأن" فترة زواجهما التي لم تحبكها السنواتُ بعد، ليست كافية لتدرس فيها سلوكياته الخفية، ومع إقراره بعنف فراسة المرأة، إلا أنه يشك في استعدادها لاختراق إصرار الرجل"[2].

الهاني صديقه؛ هو الوحيد الذي يعلم بأمره، ويحاول كل مرة أن يثنيه عن قراره، بحوار لا يملأ فراغات قناعاته، ويصر على ما تهيأ لهُ منها: " أنا لا أضخم أزماتي بقدر ما أضخمُ استقلاليتي، إني باختصار أريدُ الغوص في تحولاتي..."[3]، ولم يتوقف خليل عن مراجعة تصرفاته وردود أفعاله أمام هُدَى زوجَتِه، خشية انكشاف أمره... وتعيد ذاكرته حوارًا للهاني وزميلة لهما:

-" إنه لا يجيد فن الإنسانية، يترك مريضا ليتجول في الأسواق.- غريب أن يصدر هذا عن إنسان واع"[4].

ويحاول إقناع نفسه بنجاح خطته، لإدراكه بأن ذلك أسَاسُ اقتناع الآخرين... والهاني صديقه؛ هو الصادق في مواجهته، يبدو ذلك في مساحات نصية، امتدت إلى صفحات، لَمْ يَغبْ فيها الاهتمام بالطفل المريض جهيد، وقد أصبح يرتاح إلى الهاني، بعد استقالة خليل الذي أراد أن يعاود ترجمة فن الإنسانية ... وفي آونة مستعجلة ارتقى الدرج رغبة في إنقاذ مرضاه...

---

[1]-حسين زيدان. يوم لك – دار الأوطان- ط1- 2012.
[2]- م ن. ص 102.
[3]- م ن..ص 103.
[4]-م ن.ص 105.

ويعود إلى البيت ، ويعترف أمَام هدى بأمر الاستقالة، وإخفائه الأمْرَ ... لكن ... هي كانت تعلم ... وكانت سعيدة لأنها تحيا طموحه الداخلي وازدهاره الخفي ... أما الآن فهو ضـعيف لأنه خاف من البؤرة المضـيئة فيه[5]، وهنا يجيئه صـوت الهاني عبر الهاتف: " الطفل جهيد مات..."[6].

يخرج مطأطأ الرأس ... كأنه يعرف طريقهُ الترابي، مر بكاف بورنان ... ثم مغارة بوكداد التي ألفت الزردة لسـنوات... وعلى قمة الجبل غالبَهُ التعبُ ... وأغراه الكهف...وغالبته رغبة الاكتشـاف، فالكهف اللغز ما أثْنَتهُ عنه كثرة التهويلات[7].

وبدأ يتحسَـسُ مَدْخَلَ الكهْف ... ودَخلهُ فعلا ... وبين اليقظة والنوم، فقد معنى الزمن... وكان كل مرة يُزيحُ ما يعيقُ طريقهُ، في نفقٍ سـحيق... ذي فوهات سَـبْعٍ، تؤدي إحداها إلى متاهةٍ تحوي أشـياءهُ التي فقدها في الصـغر[8]، وسمع ما يُشبهُ التراتيل[9]...

بمدخل المتاهة السـادسـة بابٌ ناصـعٌ البياض، يفضـي إلى ركن مكتنز بالأوراق الجلدية والأسـفار القديمة... نفض عنها الغبار، وآمن باسـتطاعته السيطرة على كل الظواهر الفيزيائية... وظل يتابع ما في الأسفار[10]..

ثم التقى بالرجل الأطهر الذي قاده إلى منزله القديم... وحدثت مغريات كثيرة معه... وأخيرا؛ أمره بأن يَسْـلُكَ الطريق المسـتقيم...وكان يؤدي إلى مخرج

---

[5]-ينظر؛ م ن،ص 123-124.
[6]- م ن.ص 124.
[7]- ينظر؛ م ن. ص 127.
[8]- ينظر؛ م ن. ص 132.
[9]- ينظر؛ م ن.ص 132.
[10]- م ن. ص 133

الكهف... وجاء بيته بشـــعر أشـــعث ووجه مغْبرٍ، فتحت هدى الباب وقالت : "أشعر برغبة شديدة في الانحناء لك"[11].

تشكل الذات في النص

تتشـكل الذات في النص السـردي من مجموع الوعي والغموض والتخيل الذي يخلق التفاعل مع القارئ لمحاولة الكشف عن أفق جديد يترجم صراع الذات مع الأفكار، ومع واقع وجودها الذي تشـترك فيه مع الآخر. فهي تتحدد بعلاقات التفكير مع الأشياء والذوات الأخرى، وتتشكل بمرجعياتها الواقعية والتاريخية ...

واعتمد الكاتب في النص ذاتا ســـاردة للأحداث، وذاتا فاعلة تؤســـس مع ذوات أخرى كون النص. ومن ثَمَّ؛ فإن الذات الســـاردة في النص؛ تبدو ممســـكة بتفاصـــيل رغبات وأفكار الذات الفاعلة، وحضـــورها ينعطف إلى تأمل تمركزها وهامشـــيتها حين تكون في منطقة بين المعلوم والمجهول، تدفع أفكارا وتهيئ لأخرى، وغالبًا ما تمثل في المنطقة التي يمكن فيها ترميم الذاكرة: في ســـياق البحث عن مخرج أو عن ملاذٍ، فهي فاعلة ومنفعلة، تحمل أفكارا، وتجرؤ على اتخاد قرارات، بعيدا عما يفرضـــه منطق الواقع، رغم تواجدها أحيانًا بمناطق غير آمنة، فقد استقال خليل من مهنة الطب في ظرف استثنائي، وهو تعلق المرضـى بطبيبهم، وأملهم فيه، خاصـــة الطفل جهيد.وفي هذا الســـلوك تغيب فاعلية القيم، لأن: "الخير الأقصـــى هو ما يؤديه الإنســـان حســـب وظيفته العاقلة "[12]، ثم إن الذات بممارســـتها لمســـتوى من إقناع الذات الأخرى- الهاني- بموقفها في الاستقالة لا تتوانى في الإقرار بأن صراعها كامن فيها: " لم لا يعني الثورة على

[11]- م ن.ص 139 .

[12]- نورة بوحناش .الأخلاق والرهانات الإنسانية .إفريقيا الشرق .المغرب .2013

نفسي بالدرجة الأولى"[13]، وبأن فكرها هو مصدر قرارها، وكل الخلاف؛ يتموضع في المنطقة التي تحاور فيها الذات نفسها.

وإذا كان الواجب " لا يعدُ مَيْلاً طبيعيًا ولا قانونا وضعيا أو شرعيا، بل إنسانيًا عقلانيًا مكثفا بذاته"[14]، فإن الذات الفاعلة تجاوزت هذا المنحى، في الآن الذي تقر فيه بأنها متفانية في أداء الواجب: " لم يَحْدُثْ أَبَدًا أن نسيت زفرات مريض من مرضاي"[15].

وبين الرغبة في الاستقلال عن الواجب باعتباره عائق تحرره، والحرص على صحة المرضى، يتشكل صراع الذات التي تفتقِدُ الفضاء المحقق لأدنى شروط الفرح بالمنصب والاستقرار الاجتماعي والاستقرار الأسري، وتتسع مساحة الصراع، كلما انكفأت الذات على ذاتها، ولأنها– بدءًا– لم تؤسس جديًا للعلاقات التبادلية مع الآخر؛ هدى والهاني، وجعله طرفا فاعلًا في القرار، إذ هناك مؤسسان: " للسعادة البشرية... التفكير؛ باعتباره مؤسس للحرية والاستقلالية، ثم التبادلية المؤسسة للشعور بالآخر"[16].

والذات بهذه التشكيلات المختلفة والمناقضة للقيم، تمثل سياسة داخلية، تدفع بالقارئ إلى الاعتماد بأنها تستشرف ملامح افتراضية أكثر فعالية في إدارة الحكي المتخيل، فالذات ما تزال في المنطقة الضباب، تحاول أن تكتسب تواصلا لغويا منتظما مع الآخر؛ الهاني وهدى، لكنها من جديد تنسحب إلى تأملات حقيقة حضورها: "تبدى له أن يقظة الإنسان هي الاستثناء، وأنه كائن ينام

[13]- حسين زيدان ؛ م ن . ص 103.
[14]-نورة بوحناش. م ن . ص 187.
[15]- حسين زيدان ؛ م ن.. ص 107.
[16]- نورة بوحناش . م ن . ص 150.

بطريقتين، الأولى بأحلام ورؤى، والثانية تحدٍ واستجابة لهذه الرؤى ... يا للسخط ...إنني أحمق"[17].

إن الذات التي تنام بطريقتين، تقف في المنطقة المتأرجحة بين الرضا والتأنيب، لا ترتاح للمناورة المتاحة تلك اللحظة، وتتجاذبها القيم الإنسانية، ومن ثم ينتهي تقييم الموقف الذي كان هروبا إلى أصقاع الذات، بفرض الاستقالةِ من العَمَل، إلى التراجُع عنها– الاستقالة –لأنها لم تحقق معادلا موضوعيا كان متوقعا، فتفاصيل الحياة المشوهة التي تتعمد الظهور، والصعوبات المعرفية التي لا تمنحها فرص قبول الواقع، تعرض الذات لتحول آخر، وتعاود من جديد تشكيل قيمة نفسية إنسانية، بالتراجع عن الاستقالة والعودة إلى مهنة الطب، وذلك منحى يتجلى فيه الوعي بمسألة الأخلاق التي" تنظر فيما ينبغي أن يكون"[18].

ثم هو الوعي بصلاحية القرار – العودة إلى العمل – يكشف عن قناعة هدى بقرار الاستقالة، لا بالعدول عنها ويصطدم في ذات خليل، التوهم بالقدرة على إخفاء القرار، واستجماع الإرادة بالاعتراف، بانكشافه المبكر أمام هدى، التي كانت تعلم كل ذلك، وقَرارُ العدول عن الاستقالة قهر فيها إكبارها له: "أشعر أنني أتعس امرأة في العالم".

. كنت أعلم كل شيء لكنني الآن أشعر بالخزي.

. أنت لا تستطيع تصور فرحتي، وأنا أحيا طموحك الداخلي، ازدهارك الخفي.

. لقد أفسدت كل شيء"[19].

---

[17]- حسين زيدان . م ن . ص 116.

[18]- نورة بوحناش .م ن . ص 68.

[19]- حسين زيدان . م ن.ص 116.

وهذا البوح يفتح مجال الاشتغال على اشتراك الذاتين – خليل وهدى– في بعض القناعات، وكل الاختلاف بينهما يكمن في تخلي كل واحدة عن حق الأخرى في سلطة القرار، ولم تقتنع بأنها فاعل في المنطقة المحددة لها مما يؤكد أن الذات وحدها يستحيل عليها صناعة قرار ناجح إذا لم تسمح للأخرى ببعض الحق في مشاركتها الوعي الإيجابي في التفكير البعدي للقرار، وسؤالها عن كيفية عقد المصالحة مع الذات ومع الآخر في حال السقوط.

جدل الذات والمكان

يعد المكان أساسا للفضاء في النص، ترتبط به الكتابة السردية وتكتسب به القدرة على التواصل مع المتلقي، فهو يحدد العلاقة الجدلية بينه والذات في أبعاده الاجتماعية والفكرية والجمالية، إذ يمكن أن يكون تمثيلا للأدوار الاجتماعية مثل المستشفى، ويمكن أن يخضع للتكثيف الدلالي والرمزي مثل الكهف.

وفي نص "يوم لك" يتحدد المكان من المرئي؛ المستشفى، الشوارع، الغرفة ... ثم الكهف وفيه ينتهي إلى اللامرئي فيه، أين يتجاوز التفاصيل الجغرافية إلى تفاصيل ما يسكنها من أفكار منظمة في التاريخ والفلسفة والتصوف، فيخلق فضاء داخليا مميزا للأفعال والأفكار والأشياء، والكهف هو المكان الأكثر قابلية واحتواء للحالة المزاجية العصيبة للذات الفاعلة في هذه الفترة التي شهدت انهيار الصورة المثال أمام هدى.

ومن ثم تخترق الذات أفقا معرفيا بديلا، ترحل إلى الكهف، وهو كهف يشبه إلى حد كبير كهف أفلاطون؛ تلوح الشمس في آخره، وفيه يتجسد التحول المكاني والتحول الفكري وينعدم تكرار التصوير لما سبق، إذ يهيئ أفقا جديدا للممارسات الذهنية التي تخترق المألوف وتمتلئ بشـــرط تواجدها؛ وهو تحقق فاعلية الذات الباحثة عن حل أو حقيقة ما أو عن مبرر لسلسلة المواقف التي عرضت نفسها

لها في هذا المحيط الافتراضـــي؛ فتتحمل عبء اكتشـــاف وجود معتم مضـــيء، كاختيار بديل أو كمهرب هيأ لها مجالا معرفيا ثريا بالعثور على الأســـفار، ومشوقا بظهور الرجل الأطهر[20].

وتمثل نقطة الانتقال من شساعة المكان إلى الضيق فيه؛ ترجمة لما تحس به الذات الفاعلة من انقباض وانشـراح؛ في المسـتشـفى وفي الكهف: " فانفسـاح المكان أكثر مما يجب يشعر بالاختناق أكثر من المكان الأضيق"[21] الذي وجدت فيه رحابة وافترضـت فيه حياة تهيئ لأسـئلة الحقيقة، وهي أسـئلة تراكم المعارف في التاريخ والتصـــوف والفلســـفة مما اقتضـــى لغة مفهومية؛ يتوحد فيها الفكري بـالجمـالي، حيث تبدو الـذات أكثر يقينـا وأكثر تجـاوبـا وهي تقتحم عتمـة الكهف وتتحسس صـعوبة مسـالكه، وتعثر على أشـياء الطفولة الضـائعة، وتمسك بالفكر نابضا في الأسفار. ثم وهي تقابل الرجل الأطهر وتعبر مساحات نورانية[22].

وكل ذلك يعد من المعينات التي مكنت للذات تأثيث حيز التحول الفكري داخل الكهف وما يفرضـــه من أســـئلة قلقة تتمحور حول واقع الوضـــوح والنور، وواقع العتمة وقد لجأت إليه في الكهف، وهما وضـــعان ليس ما يجمعهما غير حس المعرفة الذي تتوالى دلالاته في البحث المســـتمر، فيحيل عتمة الكهف نورا بفعل الأفكار التي أسست قانونها الشرعي؛ تبدأ بالمغامرة وتنتهي إليها.

إن اقتحام الكهف يؤســـس لاســـتدعاء عوالم التذكر بمرجعيات تاريخية أو عرفانية، ونفض الغبار عما علق بالذهن من معارف، ومن ثَمَّ: " فتمثلات الذات

---

[20]- ينظر؛ م ن.ص 127. 139.- المغامرة داخل الكهف.

[21]- غاستون باشلار؛ جماليات المكان.ت؛ غالبا هلسا- 1983- ص 198.

[22]-- ينظر ؛ حسين زيدان؛ م ن. ص .129-138.

للواقع والتاريخ والأشياء في سيرورتها الداخلية الزمنية "[23] تتراءى وفق رؤى الذات ببنية معرفية مميزة تدرك فعالية القيم في تكوين ذهني متميز.

ثم إن المتغيرات التي تشكل المستوى الطبيعي للذات والمكان كالاختناق والضيق، تحيل بالضرورة إلى عناصر تشكل الكون القصصي داخل الكهف، كحال الانغلاق والانسداد وضيق التنفس ... وكلها تحث الذات على فعل المغامرة، وتؤسس للمغامرة المعرفية في جغرافيا الكهف، الذي يظل يحتفظ بقدرة غريبة على الحياة.

فالكهف فضاء فارغ لكنه حي، فيه تتوالى الأسئلة عبر كون تخييلي تخلقه الذات مع الأشياء ومع الشخوص، ويرسم هذا التعالي عن التجارب المعتادة وجودا آخر وواقعا متفردا لا يمكن أن يلتقي مع الأمكنة التي سبقته؛ المستشفى، الشوارع ... لأن فيه عبورا للحدود الزمنية.

سؤال الزمن

إن جدلية الذات والمكان، تستوجب بالضرورة إحالة إلى الزمن الذي يعد مكونا مؤسسا في النص السردي، ويخضع نظامه لآليات النص في عرضه الأحداث؛ استباقا واستشرافا وتلخيصا ... فالذات عندَمَا تستشْرِفُ العالم من كوةِ الأبدية، يبدو لها في أوْج سحره، لأنها تطل عَلَيْه بعين روحِهَا، التي تبين خصوبته و امتلاءه بالإمكانيات، وتكون على درجة من الفرح، تضفي نورها على كل شيء[24]، إذ الذات الفاعلة في النص تجاوزت الغايات النفعية المادية، التي طالما كانت ضاغطا أسَاسًا من قبل؛ حين كانت تمارس مهنة الطب، وتجلت

[23]- ابراهيم الحجري؛ الرواية العربية الجديدة- السرد و تشكل القيم- Alanaya للدراسات والنشر والتوزيع- دمشق ط-2014 ص- 176.

[24]- ينظر؛ م ن.ص 101 .

فيها غاية المتعة وفضـــيلة الإنصـــات إلى العقل والروح، اللذين حققا لَهَا رؤية مختلفة لجوهر وجود كل ما ساهم الإنسان في وجوده من أسفار وقاعة مسرح...

ومن ثم؛ فالزمن بالنســـبة للذات الفاعلة هو جوهر وجودها، لا ترى فيه حاجة لضـــبط مواعيد الحياة مع هدى والهاني بحكم الوضـــع الاجتماعي، ولا الالتزام مع المرضـــى بحكم المهنة المســـؤولة، فزمنها الحقيقي هو ما يحس فيه بالحياة .

والذات بحضورها المؤْنِسُ والمفرح في الكهف بما يحمل من مرجعية يجسد: "هذا الإقحام للماضـــي في الحاضـــر، يتركه مترددا لا يعرفُ في أي من الاثنين يعيش ويبعث فيه كائنا جديدا يتذوق الإحســـاس بما يتميز به من ازدواجية بين الأمس واليوم...كائن يبرز إلى الوجود خارج الفعل الأصلي والاستمتاع المباشر بفضل علاقة مشتركة بين عهدين، تجترِحُ أعْجُوبَة بإنقاذنا من الحاضر".

إن تجارب الحياة بالنسبة للذات تجري في الزمن دون اعتبارات منها لذلك، وهذا قد يكون مبررا للعناوين الداخلية في النص:

- اليوم الأول .
- اليوم الثاني .
- اليوم الثالث .

والقارئ يعرف من خلال النص أن الفترة التي مضـت على الاسـتقالة من المهنة تقارب عشرين يوما بالحساب الزمني العادي، فهذا التلخيص غير المعلن، وحذف المواقف والأحداث التي لم تعن للذات أمرا، يجعل القارئ يجزم بأن زمنا فارغا من الإحساس به دفع بالذات إلى تلك الحسابات. فهي تدرك الزمن بقدر إحساسها بذاتها وبعلاقاتها بالآخرين ومع الأشياء، ومن ثم يتحدد وعيها به.

إن كسر خط الزمن؛ جعله ليس أفقيا منتظما بالضرورة، بل هو متوتر يستبق ما في آخره أوله كاستباق الذات تخميناتها في ردود هدى إثر الاستقالة، أو كسر الحدود الزمنية مثلما حدث مع الرجل الأطهر في الكهف، ثم غاب عن الذات الحساب الزمني. ومن ثم فالوعي بالزمن يكون بعمق الفكرة وثبات الإحساس والقناعة بها، وتبين ذلك أثناء أخذ قرار الاستقالة، وأثناء العدول عنها والعودة إلى المهنة، وأثناء أخذ قرار دخول الكهف ...ولحظة أمسكت بالإشراقة الأخيرة حين عادت إلى البيت وفتحت هدى الباب مبتسمة، وأثبتت لخليل جدارته وعظمته، وتلك كانت لحظة مستقلة عن تأثيرات الماضي والمستقبل.

فتلازم الذات والمكان والزمان، فسح المجال لتحقق الحلم بالكهف، الحلم الذي يجمع: " بين الحيَاةِ والموْتِ وبَيْنَ المُمْكِنِ والمستحيل وبين القريب والبعيد"[25]، إذ الذات هي التي حركت بإدراكها وتأملها سيرورة الزمن ومكونات المكان، حتى الانهيار المتأني، كان نتيجة استيعابها للقيمة المعرفية، لما يمكن أن يحفظهُ المكان، ونتيجة رغبتها في السمو نحو الحلم الإنساني، وتحررها من كل الالتزامات النفعية التي يفرضها الوسط الاجتماعي.

سلطة الصمت في النص

يعد الصمت مستوى من الخطاب، تختفي فيه الكلمة المنطوقة، يوظف عادة طلبا للمقترحات المحتملة، أو حرصًا على تدارك الزمن، بمحاولة الإسراع والتعطيل التي تحدث فيها جيرار جنيت gerard genette .

وفي النص يجْلي خطاب الصمت حضور دلالات، تهيئ لها الذات الساردة فاعليتَهَا في نماء النص، لكن هذه الفاعلية تختفي إن عَوضتْهَا البنية

[25]- عزيز نعمان؛ رواية ما بعد الحداثة- دراسة في نص "سيمرغ" لمحمد ديب . منشورات الاختلاف ووزارة الثقافة- الجزائر ط1 – 2013 .ص 99.

المكتوبَةُ، ومن ثم فخطاب الصـــمتِ لا يقتل النص، إنما يفتح فرصًـــا لاعتاق دلالاته من حدودها، فهولا ينتج ملفوظا لسـانيًا، بل فراغًا نصـيًا وبياضًـا نقصًـا خطيًا متمخضا عن الإنشاء[26].

تبدو الشـخوص واضـحة المعالم، متكلمة ومنصـتةً، تدفع القارئ المتفوق، لطرح أسئلته و تأملاتِهِ، فيما تفرضـه البنية المنطوقة، وتفرضـه فراغات الصـمت بنقاط متتالية، أو بنقاط ثلاثة، وهي خطاب مكثف: "يحقق الصمت المطلق سعة لتلك الامتدادات الصـــامتة للفراغ"[27] التي من خلالها، يحاول القارئ أن يجلي التغيرات التي تحدث أو تختفي فجأة على مســتوى اســتيعاب الذوات في النص لدلالات البنية المنطوقة.

" ستفقد كل شيء

–.....

–ستندم.

– .....

– رأسك أصلب من الصخر"[28].

الذات الساردة، لا توظف مستويات الفراغ البصري، عن عجز في الإمساك باللغة، بل عن احتواء واعٍ، بما يمكن للبنية الخفية أو الصـــامتة في الحوار أن تبلغَهُ، باشتغالِهَا على فكرة الاستقالة وتداعياتِها، إذ كلما تأتي الذات الساردة إلى مسـاحات خطاب الصـمت، تفسـح لأفكار تضـيق لها المسـاحة النصـية، لكنها

[26]- ينظر؛ علي عبيد؛ مقاربات سردية. الانتشار العربي. بيروت ووزارة الثقافة والاعلام . السعودية- ط12014-ص 57.

[27]- غاستون باشلار؛ م ن. ص 65.

[28]- حسين زيدان؛ م ن.ص 103.104.

تســـمح بـالانطلاق خارج الحدود المتاحـة، في حوار خليل مع هدى وهي قد اكتشفت أمره قبل الاعتراف:

-" هل تعتقد أنني أجهل ما فعلته؟

-.....

- بل قبل أن تقدم على الاستقالة.؟

-.....

- كنت أعلم كل شيء، لكنني الآن أشعر بالخزي.

-.....

- أنت لا تستطيع تصور فرحتي و أنا أحيا طموحك الداخلي، ازدهارك الخفي.

-.....

-دعني أنكسر وأحترق وحدي.

-.....

- كنت أعتز بشراستك.

-....."[29]

قد تكون الفراغات ترجمة للحسـرة التي أخفتها الذات الفاعلة- خليل- ومع اقتطاع البنية المنطوقة تتطلع الذات الســـاردة إلى أفق القارئ المتفوق الذي يجد في تعطيلها مســـاحة تناســـب ردوده المحتملة، وهو تأكيد لمشـــاركته الإبداعية، وحرص على إخرَاجه من دور المتلقي، فيحدث ما يســـمى بامتزاج القارئ والذات الفاعلة التي تُكابِدُ وَضْعًا فَوق الكلمة: " فالفراغ النصي علامة مساوية للكلام في

[29]-م.ن.ص 123. 124.

الأهمية لأننا ندرك تمامًا أن الصمت" يتكلم" وأن فصاحته تلعب دورًا أساسيًا في فنِ الخطاب، بل قد يكون أخطر حتى من الصياح ذاته"[30].

والصـمت أيضًـا يلازم النهايات المصـيرية المتعددة في النص، لأنه ينفتح على استبطان أبْعادِ الذات الفاعلة: " وجد نفسه – خليل– أمام نفسه، ماذا يقول؟ وتساءل عَنْ دوره مع الكلمات ببساطة مفطومٍ، وهل أن دوره يقابل طاقة الكلمات، وهل أصعب الأسئلة هي أسهلها؟...كان الصمت سريعا"[31]، فهل الذات تستطيع مجابهة الكلمة المكثفة، أو الكلمة التي قد تفجر مالا يتوقعه؟ أم الصـــمت هو كذلك؟

إن الخطاب بالبنية المنطوقة، بصــمت أيضًــا حيث لا تملؤه الكلمة، يمتد إلى" فراغ غَير مرئي على نطــاق الكتــابــة، يومئ إليــه الغموض واللبس والمفارقة"[32]، ويبعد المتلقي عن رتابة الدلالة، ورتابة المعايير الفكرية الاجتماعية في اتخاذ القرار. فخطاب الصـــمت، يحمل كثافة الفكرة وينفي ركود الســـكون، فيخلق الفكرة ويخلق ثقافتها والشعور الإيجابي بالفراغ.

مثلت الذات نموذجا للمفكر القلق الذي يعدُّ فاعلا اجتماعيا تغلبه كفاءته الفكرية فيتدارك قيمة الواجب وقيمة إشراك الآخر في القرار. ومثلت نموذجا مميزا في تمثل سـلوك متفرد أثناء اللجوء إلى الكهف بقدرة شـكلت له نفوذا يتحصـن به وهو يتحول من مكان يحمل شرعية الحضور الاجتماعي إلى مكان يفتقدها، لكنه

---

[32]- علي عبيد؛ م ن. ص 138.
[32]- حسين زيدان ؛ م ن.ص 138.
[32]- علي عبيد ؛ م ن. ص 58.

من جديد يتدارك ذلك في محاولة العودة، فوتيرة التجاوب مع الأفكار جعل الذات تتمكن من تحصيل الرضا وإدراك اللحظة الانفراجية.

قائمة المصادر والمراجع

1– إبراهيم الحجري؛ الرواية العربية الجديدة – السرد وتشكل القيم – al naya للدراسات والنشر والتوزيع . دمشق ط1 . 2014 .

2 – حسين زيدان ؛ يوم لك . دار الأوطان . ط1 . 2012 .

3 – سمير الحاج شاهين ؛ لحظة الأبدية . دراسة الزمان في أدب القرن العشرين – المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .ط1 . 1980 .

4 – عزيز نعمان؛ رواية ما بعد الحداثة – دراسة في نص "سيمرغ" لمحمد ديب . منشورات الاختلاف ووزارة الثقافة . الجزائر . ط1 . 2013 .

5 – علي عبيد ؛ مقاربات سردية .الانتشار العربي . بيروت .1 .2014 .

6 – غاستون باشلار؛ جماليات المكان . ت ؛ غالب هلسا . 1983 .

7 – نورة بوحناش؛ الأخلاق والرهانات الإنسانية. افريقيا الشرق . المغرب . 2013 .